

تفسير البحر المحيط

@ 302 @ توبيخ وتوقيف وتقرير ، وما مصدرية ظرفية ، أي مدة يذكر . وقرأ الجمهور : { مَّآ يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ } . وقرأ الأعمش : ما يذكر فيه ، من اذكر ، بالادغام واجتلاب همزة الوصل ملفوظاً بها في الدرج . وهذه المدة ، قال الحسن : البلوغ ، يريد أنه أول حال التذكر ، وقيل : سبع عشرة سنة . وقال قتادة : ثمان عشرة سنة . وقال عمر بن عبد العزيز : عشرون . وقال ابن عباس : أربعون ؛ وقيل : خمسون . وقال علي : ستون ، وروي ذلك عن ابن عباس . { وَجَاءَكُمُ } معطوف على { أَوْ لَمْ } * نَعْمَ رَّكُمُ } ، لأن معناه : قد عمرناكم ، كقوله : { أَلَمْ نُرَبِّكَ * بِرَبِّكَ * فَيُنَادِ وَلِيدًا } ، وقوله : { أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ } ، ثم قال : { وَلَلْيَبِثَّتَ فَيُنَادِ } وقال { وَوَضَعْنَا } ، لأن المعنى قدر بينناك وشرحنا . والنذير جنس ، وهم الأنبياء ، كل نبي نذير أمته . وقرئ : النذر جمعاً ، وقيل : النذير : الشيب ، قاله ابن عباس ، وعكرمة ، وسفيان ، ووكيع ، والحسن بن الفضل ، والفراء ، والطبري . وقيل : موت الأهل والأقارب ؛ وقيل : كمال السفلى .

فذوقوا { : أي عذاب جهنم . وقرأ جناح بن حبيش : عالم منوناً ، غيب نصباً ؛ والجمهور : على الإضافة . ومجيء هذه الجملة عقيب ما قبلها هو أنه تعالى ذكر أن الكافرين يعذبون دائماً مدة كفرهم . كانت مدة يسيرة منقطعة ، فأخبر أنه تعالى { * } : أي عذاب جهنم . وقرأ جناح بن حبيش : عالم منوناً ، غيب نصباً ؛ والجمهور : على الإضافة . ومجيء هذه الجملة عقيب ما قبلها هو أنه تعالى ذكر أن الكافرين يعذبون دائماً مدة كفرهم . كانت مدة يسيرة منقطعة ، فأخبر أنه تعالى { عَالِمٌ غَيبٍ * السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ } ، فلا يخفى عليه ما تنطوي عليه الصدور من المضمرة . وكان يعلم من الكافر أنه تمكن الكفر في قلبه ، بحيث لو دام إلى الأبد ما آمن بالله ولا عبده . وخلائف : جمع خليفة ، وخلفاء : جمع خليف ويقال للمستخلف : خليفة وخليف ، وفي هذا تنبيه على أنه تعالى استخلفهم بدل من كان قبلهم ، فلم يتعظوا بحال من تقدمهم من مكذبي الرسل وما حل بهم من الهلاك ، ولا اعتبروا بمن كفر ، ولم يتعظوا بمن تقدم . { فَعَلَّيْهِ كُفْرُهُ } : أي عقاب كفره ، والظاهر أنه خطاب عام ؛ وقيل : لأهل مكة . والمقت : أشد الاحتقار والبغض والغضب ، والخسار : خسار العمر . كان العمر رأس مال ، فإن انقضت في غير طاعة الله ، فقد خسره واستعاض به بدل الريح بما يفعل من الطاعات سخط الله وغضبه ، بحيث صاروا إلى النار . { قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ } ، قال الحوفي : ألف الاستفهام ذلك للتقرير ، وفي

التحرير : أرأيتم : المراد منه أخبروني ، لأن الاستفهام يستدعي ذلك . يقول القائل :
أرأيت ماذا فعل زيد ؟ فيقول السامع : باع واشترى ، ولولا تضمنه معنى أخبروني لكان
الجواب نعم أو لا . وقال ابن عطية : أرأيتم ينزل عند سيويه منزلة أخبروني . وقال
الزمخشري : أروني بدل من أرأيتم لأن معنى أرأيتم أخبروني ، كأنه قال : أخبروني عن هؤلاء
الشركاء وعن ما استحقوا به الإلهية والشركة ، أروني أي جزء من أجزاء الأرض استبدوا بخلقه
دون الله ، أم لهم مع الله شركة في خلق السموات ؟ أم معهم كتاب من عند الله ينطق بأنهم
شركاؤه ؟ فهم على حجة وبرهان من ذلك الكتاب ، أو يكون الضمير في { ءَاتِيَنذَاهُمْ }
للمشركين لقوله : { أَمْ أَنْزَلْنَاهُ عَلَىٰ يَهُودٍ سُلْطَانًا } ، { أَمْ ءَاتَيْنَاهُمْ
كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ } . .
{ بَلْ إِن يَبْدُوَنَّ لِلظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ } : وهم الرؤساء ، { بَعْضًا } : وهم
الأتباع ، { إِلَّا غُرُورًا } وهو قولهم : { هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ } .
انتهى . أما قوله { أَرُونِي } بدل من { أَرَاءَيْتُمْ } فلا يصح ، لأنه إذا أبدل مما دخل
عليه الاستفهام فلا بد من دخول الأداة على البديل ، وأيضاً فإبدال الجملة من الجملة لم
يعهد في لسانهم ، ثم البديل على نية تكرار العامل ، ولا يتأتى ذلك هنا ، لأنه لا عامل في
أرأيتم فيتخيل دخوله على أروني . وقد تكلمنا في الأنعام على أرأيتم كلاماً شافياً .
والذي أذهب إليه أن أرأيتم بمعنى أخبرني ، وهي تطلب مفعولين : أحدهما منصوب ، والآخر
مشتمل على استفهام . تقول العرب : أرأيت زيدا ما صنع ؟ فالأول هنا هو { شُرَكَاءَكُم }
، والثاني { مَاذَا خَلَقُوا } ، وأروني جملة اعتراضية فيها تأكيد للكلام وتسديد .
ويحتمل أن يكون ذلك أيضاً من باب الإعمال ، لأنه توارد على ماذا خلقوا ، أرأيتم وأروني ،
لأن أروني قد تعلق على مفعولها في قولهم : أما ترى ، أي ترى ها هنا ، ويكون قد أعمل
الثاني على المختار عند البصريين . وقيل : يحتمل أن يكون أرأيتم استفهاماً حقيقياً ،
وأروني أمر تعجيز للتبيين ، أي أعملتم هذه التي تدعونها كما هي وعلى ما هي عليه من
العجز ، أو تتوهمون فيها قدرة ؟ فإن كنتم تعلمونها